

نمو القدرة على إصدار الأصوات

من اليوم الأول للولادة الطفل يصدر أصواتًا، ولكن لا يمكننا أن نعتبر هذه الأصوات التي يصدرها الطفل في عامه الأول كلامًا بمعناه الحقيقي، ولكن إصدار الأصوات في سن الرضاعة خطوة مهمة وضرورية لاكتساب اللغة. يعد الكلام صفة من الصفات المهمة للغاية التي تميز الإنسان عن باقي الكائنات الأخرى. وهناك ارتباط وثيق بين الكلام والتفكير، كما في التفاهم بين الأشخاص.

عندما يلاحظ المرء بدقة الأصوات التي يصدرها الطفل في السنة الأولى يتعجب مما يقوم به الطفل ومن الطريقة التي يصدر بها الأصوات، من هنا يكتشف المعنى الذي يختبئ وراء كل هذه الأصوات غير المفهومة، أي يتعرف ما يريد أن يشير إليه الرضيع.

لا يزال الرضيع ينام في الشهرين الأولين من عمره وقتًا طويلاً. ومن أهم الأصوات التي تتعرض لها هي الصراخ الشديد، فالطفل يلفت انتباه المحيطين به من خلال هذا الصراخ إلى أنه يحتاج إلى شيء ما، من الممكن أن يكون جائعًا أو مبلولًا أو أنه يشعر بالبرد أو يشعر بألم، نادرًا ما يعبر عن صحته وعافيته من خلال إصدار أصوات من الحلق وأصوات الحروف المتحركة أثناء التنفس.

في الشهرين الثالث والرابع يزيد إصدار الرضيع للأصوات بشكل دائم، تماشياً مع طول فترات استيقاظه. يشير دهشة الوالدين بصفة خاصة تتابع إصدار مقطع «غيه» كثيراً، فبنشأ الصوت وكأنه يتغرغر، كما أن هذا الصوت يعبر أيضاً عن سعادة الطفل وارتياحه. في هذا الوقت يصدر بعض المقاطع

الأولى المعبرة، لكنها ما زالت غير واضحة وغير مفهومة وهي مجرد محاولة للتقليد.

ومما يضيفي السعادة على الوالدين أن الطفل في نهاية الشهر الرابع يستطيع أن «يقهقه» بالفعل، عندما يقوم أحد بمداعبته أو عندما يشعر بالسعادة بشكل خاص. فإن الطفل أصبح لا يستطيع فقط أن يعبر عن عدم ارتياحه أو سعادته من خلال الأصوات، بل أيضًا يمكنه التعبير عن مدى سعادته وارتياحه. وأهم ما يميز النمو اللغوي في هذه المرحلة من العمر أن الوالدين يتحدثان معه كثيرًا، ومن خلال الاستجابة لهذا التواصل ترتفع الحالة المعنوية للطفل؛ فتظهر عليه السعادة.

يبدأ الطفل خلال الشهرين الخامس والسابع في تخزين كل الأحاديث والحكايات التي تمت معه، ويبدأ في إصدار الحروف المتحركة التي يتمكن من نطقها متتابة. من خلال هذه المجموعة من الأصوات يمكننا تمييز بعض المقاطع الواضحة، بالإضافة إلى أن الرضيع يتمكن في هذا الوقت من تغيير نبرات صوته ما بين رفيع أو خشن، ومرتفع أو منخفض؛ وحيث إن الطفل الآن يكون في مرحلة الاستغراب في نمو سلوكه الاجتماعي، فهو يقلق أو يخاف من الأشخاص غير المألوفين له. كما أنه يهرب الأماكن غير المألوفة له، لذلك فإنه في الغالب لا يحكي كثيرًا وهو خارج المنزل، إلا عندما تحاكيه الأم؛ ولكنه لا يحاكي بسرور إلا عندما يكون بمفرده.

في الفترة بين الشهرين التاسع والعاشر يبدأ الطفل في تكرار المقاطع التي كان يصدرها في الشهور السابقة مرتين. تكون هذه المقاطع واضحة كما أنها تكون الكلمات الأولى مثلاً: «با- با، ما- ما، ووا- وا» وهذه تكون هي المحاولة الأولى لتكوين الكلمات.

أما الفترة بين الشهرين الحادي عشر والثاني عشر تعد مرحلة حاسمة في نمو القدرة على إصدار الأصوات، قبل هذه المرحلة، فإن الطفل يعبر بصفة

خاصة من خلال إصدار الأصوات عن احتياجاته، كأنه يستطيع أن يذكر ما يريده من خلال تكرار إصدار الأصوات. أما الآن فإنه، يتمكن من الربط بين المقاطع لتكوين معنى محدد. تكرر الأم مثلاً المقطع المزدوج «با-با» كلما حضر الأب، فيتعلم الطفل تدريجيًا الربط بين كلمة «با-با» وبين والده، وعندما يرى والده ينطق كلمة (با-با) تلقائيًا بالطبع إن الكلمات الأولى للطفل لها معان خاصة، فكلمة «هاو هاو» لا تعني على سبيل المثال الكلب فقط بالنسبة للطفل بل تعبر عن كل ذوات الأربع، وكلمة «بررر» تعبر عن كل ما يتحرك بمحرك آلي، وبهذا فقد تمت الخطوة الأولى ليتمكن الطفل من الكلام، ويضع الأساس للمرحلة الثانية في النمو أثناء السنة الثانية من عمره، والتي تهدف إلى أن يتمكن من التعبير بكلمتين عن جملة.